دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نفس جديد في السياسة : الدبلوماسية الشعبية
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	حسن، الحارث عبدالحميد
المجلد/العدد:	ع 25
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2005
الشهر:	أكتوبر - رمضان
الصفحات:	28 - 31
رقم MD:	382887
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الأحوال السياسية ، السياسية الخارجية، البعثات الدبلوماسية، الدبلوماسيون ، علم النفس، العالم العربي ، النظم السياسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/382887

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

نفس جديد في السياسة:

الدبلوماسية الشعبية

د. الحارث عبد الحميد حسن
استشاري الطب النفسي - بغداد

إن الخبرة المتراكمة لدى الدول وكذلك الأفراد تختلف من حيث العمل والتعامل الدبلوماسي مع مستوى التطور في علاقات الإنتاج والمجتمع المدني والوعي الاجتماعي للفرد والجماعة داخل المجتمع. كما أنها ترتبط بشكل خاص بمدى تفاعل الشخصية الدبلوماسية، ليس مع مشكلات بلدها التي تمثله فقط، بل التدريب النفسي الجيد على التعامل مع مشكلات الإقليم أو المنطقة التي يوجد فيها البلد، ومشكلات العالم عمومًا.

وخير مثال على نجاح الدبلوماسية وممارسة الدور الدبلوماسي على مستوى العالم ما قامت به عصبة الأمم في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، ثم الأمم المتحدة بعد عام ١٩٤٥، في معالجة العديد من المشكلات المحلية والإقليمية والدولية نتيجة لما تكدس لديها من خبرات ومعارف وأدوات وآليات لمعالجة الصراعات والمشكلات الدولية الثنائية أو المتعددة الأطراف.

ومن الجدير بالذكر، أن الأهمية الكبيرة في الدبلوماسية المؤثرة لا تكمن في مواجهة المشكلات حين تأزمها وتحولها إلى صراعات ونزاعات يصعب حلها أو تحويلها، بل في البدء بالتعامل معها والشروع بمعالجتها حال ظهورها وقبل أن تتحول إلى صراعات أو نزاعات سياسية أو عسكرية أو حتى ثقافية.

ولا تتحمل الدبلوماسية مسؤولية التعامل مع المشكلات المعقدة بين الدول والأمم فحسب، بل تقع عليها مسؤولية التدخل السريع، لمعالجة المشاكل القائمة في داخل البلد الواحد. وتحتل هذه المسؤولية تحديدًا وخصوصًا في عالمنا العربي، أهمية كبيرة وفائقة، خصوصًا عندما ترتبط القضية بالصراعات الإثنية والقومية أو النزاعات الشوفينية والعنصرية أو حتى الصدامات الدينية والمذهبية، في التعامل مع هذه القضايا من طرف النظم والقيادات الحاكمة في البلدان المختلفة. وخير دليل على هذا الدور الكبير الذي يمكن للدبلوماسية أن تقوم به في تعبئة الرأي العام المحلي والدولي والمجتمع الدولي في مواجهة ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب لدى بعض قوى الإسلام السياسي المتطرفة في العالم.

وعلى المستوى التطبيقي، وإضافة للدبلوماسية التقليدية فهناك نوعان آخران من الدبلوماسية، وهما: الدبلوماسية الوقائية، والدبلوماسية الشعبية.

الدبلوماسية الوقائية: وهي المعالجة السلمية التي تتم من خلال عملية التفاوض بين الدول لتسوية النزاعات بينها، وكذلك الإجراءات التي تقوم بها أية دولة أو منظمة إقليمية أو دولية بهدف منع نشوب الصراعات ومنع تصاعد المنازعات القائمة والحيلولة دون تحويلها إلى صراعات التفاوض. وتكون الدبلوماسية الوقائية ذات نمطين رئيسين:

الأول: ذات الطابع الاختياري وتكون غير ملزمة لأطراف النزاع.

الثاني: ذات النتائج الملزمة أو الإجبارية التي تلتزم الأطراف باحترامها والتقيد بها.

الدبلوماسية الشعبية: وهي الدبلوماسية التي تسعى إلى الجماهير ومخاطبتهم من خلال وسائل الإعلام المختلفة وتستند في طروحاتها إلى دبلوماسيين شعبيين يأتون من بين أبناء الشعب، يفهمون لغته ويشعرون بمشاعره ويعملون من أجل خدمته.

وتقدم لنا تجارب السنوات الأخيرة صورة واضحة وجلية عن الدور الذي يمكن أن تمارسه الدبلوماسية في المساعدة على حل المشكلات والصراعات بالطرق السلمية أو تحويل هذه الصراعات وتأجيلها من خلال الحوار والتفاوض وعقد اللقاءات بعيدًا عن كل أنواع الحساسيات الدينية والعرقية والمذهبية.

الأسس السيكولوجية للسياسة والدبلوماسية

كلما تعمق الباحث في دراسة ظاهرة ما، يجد التداخل والتكامل بين أدوات البحث ومفاصله وعلى الصورة التي تشكل وحدة معرفية متكاملة. وعندما نتعمق في مفهوم الدبلوماسية الحديثة والعلنية منها على وجه الخصوص، حيث ولى الزمن الذي كانت فيه الدبلوماسية سرية، مع قيام نظم الحكم الديمقراطية بعد أن كانت ديكتاتورية ولا تقيم وزنًا للشعوب وتعمل لمصلحة فئة قليلة من الشعب وعلى حساب الشعب كله، نجد أن نمطًا جديدًا من الدبلوماسية قد ظهر وهو «الدبلوماسية السياسية» لم يكن معروفًا قبل العصر الحديث. وهذا يعني أن هناك نموذجين من الدبلوماسيين في العصر الحدث:

- نموذج دبلوماسية رجل الدبلوماسية: وهو الدبلوماسي المحترف.
- ونموذج دبلوماسية رجل السياسة: وهو رجل الدولة، وقد يكون رئيس الدولة أو رئيس الوزراء أو حتى وزير الخارجية كونه المشارك في عملية التخطيط للسياسة والمنفذ لبرامجها في وقت واحد.

وما يقرب السياسة والدبلوماسية أكثر فأكثر من البناء السيكولوجي للفرد والمجتمع ظهور نمط جديد من الدبلوماسية، هو: الدبلوماسية الشعبية وهي سمة من سمات الدبلوماسية الحديثة، وهي صورة من صور التطور التي مرت بها هذه الدبلوماسية. ففي ظل الأنظمة الديمقراطية أصبحت الشعوب هي صاحبة السيادة، حيث تغيرت مفاهيم الطبقية والاستقلالية والنخبة والقلة على حساب الكثرة إلى مفاهيم الحكم من الشعب وإلى الشعب. وطبيعي جدًا أن تتأثر الدبلوماسية بهذه المتغيرات الجديدة في ظل الأنظمة الحديثة. وجوهر المعنى بالنسبة للدبلوماسية الشعبية، هو أن هناك رأيًا عامًا شعبيًا تسعى الدبلوماسية لكسبه وتأييده، إضافة إلى دورها في تمثيل السلطة الحاكمة.

وما يؤكد أهمية تطبيقات علم النفس في السياسة والدبلوماسية ظهور نمط آخر من الدبلوماسية يطلق عليه: الدبلوماسية الشاملة، وهو المعمول به حاليًا على مستوى معظم دول العالم، إذ لم يعد عمل البعثات الدبلوماسية مقصورًا على الاهتمام بالشؤون السياسية فحسب، بل تعدى ذلك إلى الشؤون الثقافية والعسكرية والإعلامية والتجارية والعلمية وما إلى ذلك وفقًا لما تقتضيه مصلحة الدولة.

إن هذه الأنماط وتطورها في السياسة والدبلوماسية يحتم الاهتمام الجدي الذي لامفر منه مع تقدم وسائل الاتصال والعلوم والتكنولوجيا، بمظاهر الدبلوماسية المعاصرة التي أصبحت حقائق يجب على السياسي والدبلوماسي التعرف عليها بتعمق وتفحص ومعرفة ودراية ليواكب حركة الحياة والتقدم والتطور في مجالاتها المختلفة.

ولأهمية هذه المظاهر سنحاول هنا تعدادها فقط دون الخوض في تفسيرها أو تحليلها حيث لا يتسع مقام هذه المقالة للشروحات المطولة عن هذه المظاهر:

- ❖ الظاهرة العلمية والتكنولوجية.
- ❖ الظاهرة الحضارية.
- ❖ الظاهرة الفنية.
- ❖ الظاهرة الاقتصادية.
- ❖ الظاهرة القانونية.
- ❖ الظاهرة الأخلاقية.

ومن منطلقات الظاهرة الأخلاقية نستمد عددًا من الاهتمامات النفسية التي

○ ما يؤكد أهمية تطبيقات علم النفس في السياسة والدبلوماسية ظهور نمط آخر من الدبلوماسية يطلق عليه: الدبلوماسية الشاملة، وهو المعمول به حاليًا على مستوى معظم دول العالم.

تدار بالعمليات السياسية والدبلوماسية، حيث إن الأخلاق جاءت بمعنى النفس في كتب التراث العربي الإسلامي، حتى إن اضطرابات النفس وأمراضها، كان يطلق عليها أمراض الأخلاق وتداعياتها.

وبهدف تحقيق الضوابط الأخلاقية في المجتمع والارتقاء بها يرى الطب النفسي وعلم النفس ضرورة الإفادة من معارفهما ومساعدة الفروع العلمية الأخرى بالتعرف عليها. ومن خلال ما تقدم نعتقد أننا توصلنا إلى شبه اتفاق على أن السياسة والدبلوماسية في العصر الحديث وبأنماطها الجديدة أصبحت تمس حياة المواطن والجماعة ومن ثم المجتمع، بشكل أساسي ومباشر، لذلك فهي المؤهلة فعلاً لحمل هذه الرسالة الأخلاقية وفق أسسها الرشيدة والإفادة منها على مستوى العمل السياسي والدبلوماسي سواء داخل البلد أو خارجه. ومن هذه الاهتمامات:

❖ التزام الأبحاث العلمية التي تسعى لإحداث تغييرات في الإنسان على مستوى التربية العبقرية والاستنساخ (الاستنسال) وأبحاث الهندسة الوراثية، بسياسة اجتماعية صارمة تهتم بسعادة الإنسان وتقدمه.

❖ الحذر من توجيه البحث العلمي باتجاه خلق جماعات أو شعوب أو أفراد متفوقين على حساب غيرهم من البشر.

❖ الانتباه إلى محاولات تحوير الأفكار وغسل الدماغ وتطوير السلوك الإنساني بالاتجاه الذي يخدم أهدافًا محددة تقع خارج إنسانية الإنسان، وبوصفها محاولات للاعتداء على الحرية الفردية.

❖ التدقيق في محاولات تعديل الشخصية بيولوجيًا والتحري عن دوافع هذه المحاولات.

❖ الحذر من احتمالات إساءة الاستغلال السياسي لمراقبة سلوك الأشخاص وفي إطار تقنيات الاتصال.

❖ العمل الجاد في الحفاظ على كرامة الإنسان من خلال التعامل مع هذا الإنسان بمسؤولية عالية تحترم حرية اختياره واستقلاليته الذاتية وتفرده.

❖ الحفاظ على التوازن البشري والتنوع الإنساني جينيًا وثقافيًا ومحاولة الوقوف بوجه سياسة خلق كائنات بشرية مثالية جينيًا.

وبضوء ما تقدم يمكن تقديم قائمة موجزة بالأسس السيكولوجية التي يجب الاعتماد عليها والعمل على توافرها في السياسي والدبلوماسي بوصفهما الأفراد الذين يترجمون العمل السياسي والدبلوماسي إلى واقع عملي في ساحة هذا البلد أو ذاك:

❖ على المستوى الانتقائي: من المهم جدًا التعرف على الوسائل التي يمكن في ضوئها اختيار الأفراد الذين ينتمون للأسرة السياسية والدبلوماسية. كذلك فإن هذه الوسائل يمكن أن تكون مفيدة وفاعلة في متابعة من هم موجودون فعلاً في العمل الدبلوماسي وبشكل دوري. ونطلق على هذه الوسائل بـ «الاختبارات». ولا بد في البداية أن نثقف في الاتجاه الذي يزيل الحواجز بين الشخص المعني والجهة التي تقوم باختباره، حيث يعتبر بعضهم أن في مثل هذا الإجراء انتقاصًا من أهليتهم أو التحرش بحيزهم الشخصي أو الفكري. إن واقع الحال هو أكبر بكثير من هذا الشعور، حيث إن مهمة السياسي والدبلوماسي، هي مهمة كبيرة وحساسة ومؤثرة، لذلك فهي مهنة خطيرة تحتاج إلى المزيد من التدقيق والمتابعة، وهي ملك للشعب قبل أن تكون ملكا فرديًا أو لقيادة الدولة حصرًا. ومن هذه الاختبارات:

❖ اختبارات في الذكاء العادي والمتقدم.

❖ اختبارات في الشخصية.

❖ اختبارات في الاتجاهات والاستعدادات.

❖ اختبارات للقدرات العقلية: الإدراك، التفكير، الذاكرة، التخيل والتصور.

❖ اختبارات في الإبداع والابتكار.

إن نتائج هذه الاختبارات، تمثل رصيدًا أساسيًا في سجل الدبلوماسي والسياسي، وهي بطبيعتها ليست نهائية أو حاسمة، إذ يمكن تطوير برامج تدريبية متقدمة في كل المحطات التي ذكرت والتي تظهر لنا عبرها نتائج ضعيفة أو متوسطة. حيث يمكن تطوير الذكاء والذاكرة وتوجيه الاستعدادات وتطوير القدرات العقلية والإبداعية والابتكارية من خلال برامج متخصصة.

❖ على المستوى الشخصي: لا بد من توفر سمات وخصائص في الشخصية السياسية والدبلوماسية، حيث التميز في عدد من المجالات الأساسية: التوازن، المرونة، الضبط الانفعالي، الإرادة، القيم الجمالية، فضلاً عن قيم الفضيلة والأخلاق الراقية. إن هذه الخصائص وغيرها يمكن قياسها من خلال أدوات سيكولوجية مقننة، وفي ضوء النتائج أيضًا يمكن تطويرها وتنميتها.

❖ على المستوى المعرفي: أن يكون السياسي والدبلوماسي على قدر عال من المعرفة الشاملة والواسعة في شؤون الحياة المختلفة. فهو يعرف شيئًا من كل شيء في مجالات العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية. لذلك فإن المستوى التعليمي له، يجب أن يكون راقيًا ومتقدمًا، كذلك الجانب الثقافي يجب أن يكون راقيًا ومتقدمًا، وأن يكون موسوعيًا وليس في حدود ثقافته المجتمعية بل يمتد إلى ثقافات الآخرين من شعوب وأمم الأرض، ما يسهل عليه مهمة الحوار والتفاوض اللتين تعتبران من أساسيات العمل الدبلوماسي والسياسي، فضلاً عن إتقان عدد من اللغات العالمية إضافة للغة الأم.

❖ على المستوى الاجتماعي: أن يكون محبًا وودودًا ومنتميًا إلى الجماعة وعارفًا بشؤونها بشكل واسع ومعمق. وهنا تتوضح أهمية كون السياسي والدبلوماسي مستقلاً في فكره وتفكيره مع قدرته الفائقة على الاندماج مع كل شرائح المجتمع. وهذا لا يعني أبدًا ألا تكون له أيديولوجية فكرية محددة أو عقيدة سياسية معينة، لكن التفكير الموضوعي والمستقل يجعله قادرًا على الانفتاح على كل الناس حتى وإن كانوا يحملون فكرًا مغايرًا لفكره وانطلاقًا من مبدأ الاحترام والحب والتقدير للآخر.

❖ على المستوى الأخلاقي: يعد موضوع الأخلاق والقيم الفاضلة والحميدة أساسًا لشخصية الدبلوماسي والسياسي. ويأتي

التواضع في مقدمة هذه القيم حيث يجعله جزءًا من المجتمع الذي ينتمي إليه وليس مترفعًا عليه. بعد ذلك تأتي قيم الصدق والأمانة والدماثة والشعور بالمسؤولية والانفتاح على الآخر بمرونة وتوازن وبعيدًا عن التعصب والتطرف والغلو والنظرة الأحادية أو الاستعلائية من خلال الانتماء لقومية ما أو دين ما أو مذهب ما أو عقيدة ما. إن أخطر ما يسيء إلى شخصية السياسي والدبلوماسي أن يكون متعصبًا لشيء ما، لأن هذا يبعده عن الأهداف الأساسية لمهنته الكريمة والحساسة التي هي ملك الشعب كما قلنا سابقًا قبل أن تكون ملكًا فرديًا له. لذلك، يجب على السياسي والدبلوماسي أن يكون راضيًا عن نفسه وعارفًا لها ومن ثم مشبعًا لحاجاته الأساسية والإنمائية وصولا إلى إشباع حاجة تحقيق الذات والتي يستطيع أن يكون مبدعًا وخلاقًا من خلالها.

❖ على المستوى الإنساني: ويعد هذا المستوى من أوسع المستويات وأكثرها امتدادًا لأنه يرتبط بأعماق النفس الإنسانية وجوهرها، لذلك فإن هذا المستوى، يمكن أن يستوعب كل المتغيرات الجديدة في حياة الفرد التي يمكن أيضًا من خلالها تحقيق التطور والتقدم والنماء في الشخصية السياسية والدبلوماسية. ويعتبر الإيمان بمعناه الواسع والشامل من أهم الأسس التي يعتمد عليها المستوى الإنساني. إذ يبدأ الإيمان بقدرة الفرد على إنجاز التفوق، ويمتد وصولا إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى. وبين الإيمان بقدرات الذات، والإيمان بالخالق العظيم، عدد من المقومات التي تفتح الباب على مصراعيه للانطلاق نحو احترام إيمان الآخر بدين أو عقيدة أو مذهب ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نسمي قوة الإيمان بثقافة الإيمان، لأنها ثقافة حقًا، ونحن بحاجة كبيرة إلى التوعية والمعرفة بها.

أين نحن من هذه الأسس؟ وما النظرة المستقبلية؟

لا أريد أن أطيل في هذا المحور من المقالة، إذ إننا جميعًا نتفق ولو نسبيًا وحسب ما يتوافر لنا من معلومات، على الواقع السياسي في عالمنا الكبير. وفي الوقت الذي مازالت مجتمعاتنا تعاني التخلف والقهر والأمية والمرض في مفاصل متعددة، تؤثر على حركة التنمية المجتمعية، فإن محطات مضيئة ومتنورة مازالت حية وفاعلة في منظوماتنا الاجتماعية والسياسية والدبلوماسية. والحقيقة التي لابد من التصريح بها هي أن المجال الدبلوماسي في مؤسساتنا السياسية في الوطن العربي، يتميز بالاهتمام والرعاية والاحترام، حتى إن الكثير من الدول العربية ما زالت تحتفظ بتقاليد جميلة ومتطورة في العمل الدبلوماسي، ما يجعلها أكثر استعدادًا لمواكبة ما نطرحه اليوم على مستوى الاهتمام بالجوانب النفسية والاجتماعية بوصفها المفاتيح الذهبية للانتقال إلى عالم الدبلوماسية المتقدم الذي بحكم قيمته السامية وتقاليده في العمل، يصبح قادرًا على استيعاب كل جديد من أجل التطور والتقدم.

وتبقى المنظومات السياسية والدبلوماسية على مستوى الدول والحكومات في عالمنا العربي مسؤولة بشكل مباشر عن تطوير أدواتها والارتقاء بها إلى المستوى الذي يجعل منها محبوبة ومرغوبة من الشعب، انطلاقًا من فكرة أن الشعب هو الينبوع الذي لا ينضب أبدًا في رفد هذه المنظومات بالمؤهلين والمتميزين لتبوؤ المواقع المتقدمة فيها بعد اختبارهم وتأهيلهم وتطوير الموجود أصلا منهم خدمة للبلاد والأمة والشعب.

وأتمنى ألا نصاب باليأس أو الإحباط أو التطير عندما ننظر إلى التجارب الأجنبية، أو عندما نتعمق في قراءة واقع السياسة والدبلوماسية في عالمنا العربي الكبير، أو عندما نجد أن بعض الأسس النفسية لا تتفق مع رغبات أو أفكار أو توجهات هذه القيادة الحاكمة أو تلك. المهم هو الجوهر، والأهم هو المصارحة مع الذات في تقويم تجربتنا في هذا المجال، حيث لامجال لتقدمنا وتطورنا إلا بالتقييم الصحيح والصريح والجرأة والشجاعة في تحديد السلبيات ومواجهتها والعمل على تذليلها، وتحديد الإيجابيات والعمل على تعزيزها وتقويتها، في محاولة جادة لتطويع المفاهيم والأسس النفسية وتكييفها بما يلائم هذا البلد أو ذاك، أو هذا النظام السياسي أو ذاك.

إن الحاجة كبيرة جدًا لانبثاق رؤية مستقبلية ونظرة جديدة في مستقبليات واقعنا السياسي والدبلوماسي، نتحرك من خلالها لبناء استراتيجيات واضحة المعالم لخياراتنا التي تستند إلى ثقافتنا العربية الإسلامية في التأسيس لسيكولوجيا عربية في العمل السياسي والدبلوماسي كما هو الحال في المجتمعات الغربية. وأنا على ثقة كبيرة أن المادة الخام لهذا البناء الفكري والأيديولوجي والمعرفي موجودة في ظهرانينا، حيث يتوفر في مجتمعاتنا العربية العديد من المؤهلين والمتميزين والمبدعين وممن يشهد لهم بكفاءة الأداء وسرعة البداهة والقدرة على العطاء الثر، من أجل الالتحاق بهذه المنظومات أو التأسيس لبناء مشروع هذه السيكولوجية العربية التي ما زالت حلمًا نتمنى تحقيقه ، ونحن أهل له دون أدنى شك. ■